الجزء الثامن من السنة الاولى

العلوم الطبيعية

اذا ثبت الفضل لعلم بمنافعهِ لم تبقَ حاجة لاقامة البرهان على لزومهِ او للتردُّد في حث مطالبا الافكار لاحرازهِ ولذلك كانت العلوم الطبيعية في غنًى عمَّن يشهد بفضلها اذ هو ظاهر في كثرة منافعها ولذة مباحثها وسمو مواضيعها حتى انزلت بين العلوم ارفع منزلة ونعشتها العقول وهامت بها الافكار. غير انها كالورد سلطان الزهر لم تخلُ ممَّن يهجوها وينسب الى ارتيادها الكفر والفساد زاعمًا اياها مجلبة للشك في الاقوال المنزلة وداعية الى الغرور واتباع الاهواء حالة كونها احسن هادٍ الى السداد وافضل عاصم عن ارتكاب الفساد. وانَّا نشفق ان بعضًا من قرَّاء المقتطف يظنُّ كلامنا الآتي منطويًا على ما لم نقصدهُ فلذلك اقتضى ان نصرح هنا بسلامة مقصدنا واخلاص نيتنا ولكن لمَّا كانت بغيتنا ازالة بعض الاغلاط السائرة وتلك بغية حميدة ان كنَّا ممَّن هم اهل للفوز بها او لم نكن احببنا اظهارها دون ان نخص بكلامنا احدًا فنقول

يزعم البعض ان العلوم الطبيعية مضرة تشكك في ما اوحي بهِ في الكتب المنزلة وينكرون منافعها ويزعم غيرهم انها تشكك في الدين ويفرون بمنافعها. وغيرهم انها صادقة نافعة ويكذبون الوحي لاجلها. ويقول الباقون انها مصداق الوحي بحجة العقول ومعدن الرفاهة وهولاء لاريب هم المصيبون

فاما الذين يوجسون خيفة من العلوم الطبيعية وينسبون اليها التشكيك وينفون عنها المنافع فلا نظن رأيهم سديدًا ولا اساس زعمهم وطيدًا لانهم ان كانوا يعتقدون ان الذي انزل الوحي هو الذي خلق الخليقة فليت شعري ما الذي يريبهم في العلوم الطبيعية وهي درس اعمال الله في خليقتهِ والكتاب المتضمِّن عجائبهُ في مصنوعاتهِ كما يتضمَّن الوحي غرائب افعالهِ بين شعبهِ. واذا كان من المحال ان تناقض اقوالهُ تعالى اعمالهُ أفليس من المحال ايضًا ان يتناقض الوحي والعلوم الطبيعية طالما كان كلٌّ منها مفهومًا حق الفهم. بل في ذلك ما يحث على درس العلوم الطبيعية اذ كانت على ما ظهر اقرب العلوم الى الوحي وادعاها كلها الى استعظام قدرة الله تعالى وكمال عنايتهِ

وكيف يخشى الناس شرًّا من العلوم الطبيعية وقد ورد في اقوال الانبياء الكرام والرجال العظام آيات بينات تشهد بعظم مواضيعها وتدعو كل عبد مؤمن الى التدبُّر فيها. منها عظيمة هي اعمال الرب مطلوبة لكل المسرورين بها جلال وبهاء عمله. الآية.. وايضًا لانك فرحتني يارب بصنائعك باعمال

بديك ابتهج . ما اعظم اعمالك يارب وما اعمق جدًّا افكارك . الرجل البليد لا يعرف والجاهل لا يفهم هذا. وايضًا عجيبة هي اعمالك يارب كلها بحكمة صنعت . ومنها ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب . وايضًا (انهُ تعالى) رفع السماء بغير عمد تذكرة لأُولي الالباب وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري الى امدٍ تبصرةً لكلِّ عبد اوَّاب ومنها هدانا التفكُّر في المصنوعات والتدبُّر في امر المدبرات الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبته اعلى واجل من رتب المكنات اه. ألا انَّ من يصدّ الناس عن احراز هذه العلوم يضاد ما اوحى بهِ تعالى فعسى ان الذين غفلوا عن ذلك ينتبهون

امَّا فوائدها فاشهر من ان تذكر وبديهيات ان تحصر وقد اشرنا الى بعض منها في ما سلف من المقتطف في تدبير الشرق وتدبير الغرب والبذ الصناعية واكثر البذ العلمية . ولمَّا تبين الانسان كنوزها القى اليها زمام الجد وما زال يعالجها حتى راض صعابها وكشف حجابها واخذ العقل سحرُها فسار في انحاء الكون رائدًا وكشف عوالمهُ وتدبَّر عظائمهُ وطاف الارض طولاً وعرضًا وبحث عمَّا فيها من كبير وصغير ولم يترك فيها ذرة الاَّ اقام عليها بحثًا وها هو الآن يدبر ما جمع من فوائد هاتيك العلوم لرفاهة حالهِ ونعيم عيشهِ . فعلى مَ يندد المنددون بها ولمَ يستصغرها السوريون ولا يبادرون اليها فتكنهم مَّ الفائقة . ولِمَ يتربَّص ابناء اللغة العربية عن احيائها عندهم وقد كانت فخرًا لاقطاب علمائهم . ماذا يقول ابن سينا لو وقف بنا اليوم وسمع اكثرنا يعوذ بالله من شر علماء الطبيعة وعلمهم وكيف يشعر الزوبعي لو سمعنا نقول عن عالم في الحيوان ان هذا طبيعي كافر . والبتاني والطوسي والنيسابوري لو علموا ان علم الهيئة قد امسى في خبر كان بعدما شيدوا دعائمهُ بين امة العرب وماذا يقول ابن رشد وابو الوفا والفرغاني وكثيرون غيرهم من فطاحل هاتيك الازمان لو عرفوا ما مسَّ علومهم من الصغار بين قومهم . فليت المنددين بهذه العلوم ينظرون الى ان افاضل الناس انشأوها ولم يزل الافاضل يتداولونها وانهم على غير اصابة يصدون الناس عن اقتنائها ويحولون عيونهم عن مراميها الباهرة ويصدون آذانهم عن سمع احكامها القاهرة فلا يستوعبون فحواها ولا يتحققون دعواها بحجة انها تخالف ما انزلهُ الباري تعالى

واما الذين يقرون بمنافع هذه العلوم ولكن يزعمونها مضرة في الدين فذلك لانهم يبدون الغاية المقصودة من الوحي الى ابعد من امدها فيقولون مثلاً انَّ ما جاء في الوحي يحوي كل ما تاتي بهِ العلوم من قديم وحديث ويعتقدون انهم يعلمون كلَّ علمٍ مَّما انزل من الاقوال الالهية ولذلك لا يتأنَّون قليلاً ريثما يريهم كل اكتشاف علمي ويستنزهم للتضال اقل خلاف ظاهر يبدو في العلم مناقضًا لرأيهم . على ان بطلان اعتقادهم هذا ظاهر . فان الاقوال المنزلة لا تتعرض لذكر شيء من القضايا العلمية الاَّ على سبيل ذكر عامَّة الناس لها لانهُ لم يقصد في الوحي تعليم الناس العلم والفلسفة بل واجباتهم

لله ولانفسهم ولغيرهم وهذه غايته الوحيدة ولو قصد منه تعليم العلوم لانزل ذلك الينا بسيطاً مفصلاً موضحاً كباقي الكتابات الموحى بها. فالعلم اذاً غير محصور في الوحي ولا يصح تكذيبه بدعوى انه غير مذكور في الوحي الاّ اذا ناقض ما في الوحي وكانت موافقته له محالاً وذلك لم يكن ولن يكون . فاذا قيل كيف لا يكون ذلك والعلم يثبت دوران الارض حول الشمس وثبوت الشمس غير متحركة مع ان الوحي يذكر دوران الشمس وثبوت الارض صريحاً قائلاً شرقت الشمس وغربت . والارض مؤسسة . ونحو ذلك من العبارات قلنا ان غاية الوحي تعليم الناس واجباتهم كما تقدم ولذلك اقتضى ان ينزل اليهم بكلام مفهوم عندهم يجري على اصطلاحاتهم في تأدية معانيهم وكان المفهوم عند الذين انزل الوحي في ايامهم ان الشمس تدور والارض ثابتة فاذا قال الوحي شرقت الشمس وغربت لم يكن قوله حجة على القائلين اليوم بدوران الارض لانه تبع اصطلاح البشر كما انه اذا قال عالم بعلم الهيئة اليوم شرقت الشمس وغربت لم يستدل من قوله على ثبوت الارض . وقس على ذلك سائر ما يرد في هذا الشان . وربما فسّر البعض كلام الوحي بمعنى وجرى الجمهور على تفسيرهم فاذا ظهر في العلم مناقضة له فهناك النضال والجدال ويثور الجمهور بالعلماء ناسبين اليهم الكفر وزاعمين انهم يناقضون الاقوال المنزلة غير عالمين انهم هم حرفوها وركبوا الشطط في تفسيرها الى ان قدّر الله ظهور بينة في كتاب اعماله عن يد واحد من عبيده العلماء لتكون مصداقاً لاقواله . وهكذا بعد ان حوّل الناس وردي هذين السبيلين واجروا كلاً منهما في مجارٍ متشعبة متعارضة طغيا وطميا على روابي الخلاف حتى التقيا وهما آخذان في الانضمام الى مجرى واحد بزيادة الاكتشاف واصلاح التفاسير

واما الذين يعتقدون بصحة العلوم الطبيعية ونفعها وينكرون الوحي لاجلها فيخطئون الاصابة بالغلط وقد مالوا كل الميل حتى جاوزوا محجة الصواب ونحن نعتقد ان انكارهم للوحي ضلال مبين ولا سيما لانه قد ظهر على توالي الايام ما بين الوحي والعلوم الطبيعية من الاتفاق العظيم

واما الذين يحسبون العلوم الطبيعية مصداقاً للوحي وكنزاً للفوائد فمما تقدّم يتبين انهم هم المصيبون الرابحون . وياحبذا لو قابل ابناء الوطن هذه العلوم بما تستحق من الشوق وشمروا لنوالها ذيل الجد ونبذوا عنهم المخاوف التي تصدهم عن احراز فوائدها واطّرحوا التعنت في معاملة طلاّبها فان ذلك يؤيسهم الى الخلاف مشاحّةً وضغناً ولو قصد بالمعاملة خيرهم وآل الخلاف الى ضيرهم

وردت الينا الرسالة الآتية فادرجناها بحروفها

لجناب الاجلا الكرام مولفي جريدة المقتطف المحترمين دام بقاهم امين

ابدي اني بمطالعتي على جريدتكم الممدوحة جزء ٦ تاريخ الشهر الحاضر عثرت بصفحة ١٤١ على